

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[243] وبديهي فإنّ مثل هذه القدرة المطلقة بإمكانها الوفاء بجميع الوعود وحلّ جميع المشكلات مهما كانت ثقيلة وصعبة، فكلّها تحت إرادته ومشئته، وجملة قَدْرَ جَعَلَ اللَّهَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا يمكن أن تكون جواباً على سؤال مقدّر، وهو لماذا نعيش أحياناً غاية التوكل على الله تعالى ولكن الحلّ والنصرة قد يتأخر؟ القرآن الكريم يجيب على هذا السؤال بأنكم لا تعلمون مصالح الأمور، فكلّ شيء يكون بحساب ويتطلب زمان وفرصة مناسبة، وكلّ حالة تكون مطلوبة في طرفها الخاصّ، ولهذا وبمقتضى أنّ "الْأُمُورُ مَرَهُونَةٌ بِأَوْقَاتِهَا" فأحياناً تقتضي المصلحة تأخير النتيجة، وعليه فإنّ العجلة والتسرع في مثل هذه الأمور غير صحيح. ويشبه هذا المعنى ما ورد في الآية (160) من سورة آل عمران حيث نجد أنّ القرآن الكريم يقرر بأن النصر والهزيمة كليهما من الله تعالى وأنّ طريق الوصول إلى النصر يمر من خلال التوكل على الله فتقول الآية : (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَلاَ مُمْسِكٌ لَهُمْ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْمُضِلِّينَ). -- النتيجة النهائية : ونستوحي من الآيات المذكورة آنفاً والّتي استعرضت سيرة أقدم الأنبياء الإلهيين إلى أن وصلت إلى نبي الإسلام أنّ مسألة التوكل في حياة البشر وجهاد الأنبياء وانتصارهم على المشكلات والتحديات الصعبة الّتي يفرضها الواقع بمثابة الأساس لكلّ هذه التحركات الإيجابية والمثمرة في سلوك الإنسان على المستوى المادي والمعنوي، وتدلّ على أنّ هذه الفضيلة الأخلاقية بإمكانها أن ترتفع بالإنسان إلى مستويات عالية في سلّم الكمال المعنوي، والنقطة المقابلة لها، أي عدم الاعتماد والتوكّل على الله تعالى يتسبب في السقوط الحضاري والمعنوي للفرد والمجتمع. --